العرب
الإثنين 2021/08/09
السنة 44 العدد 12143

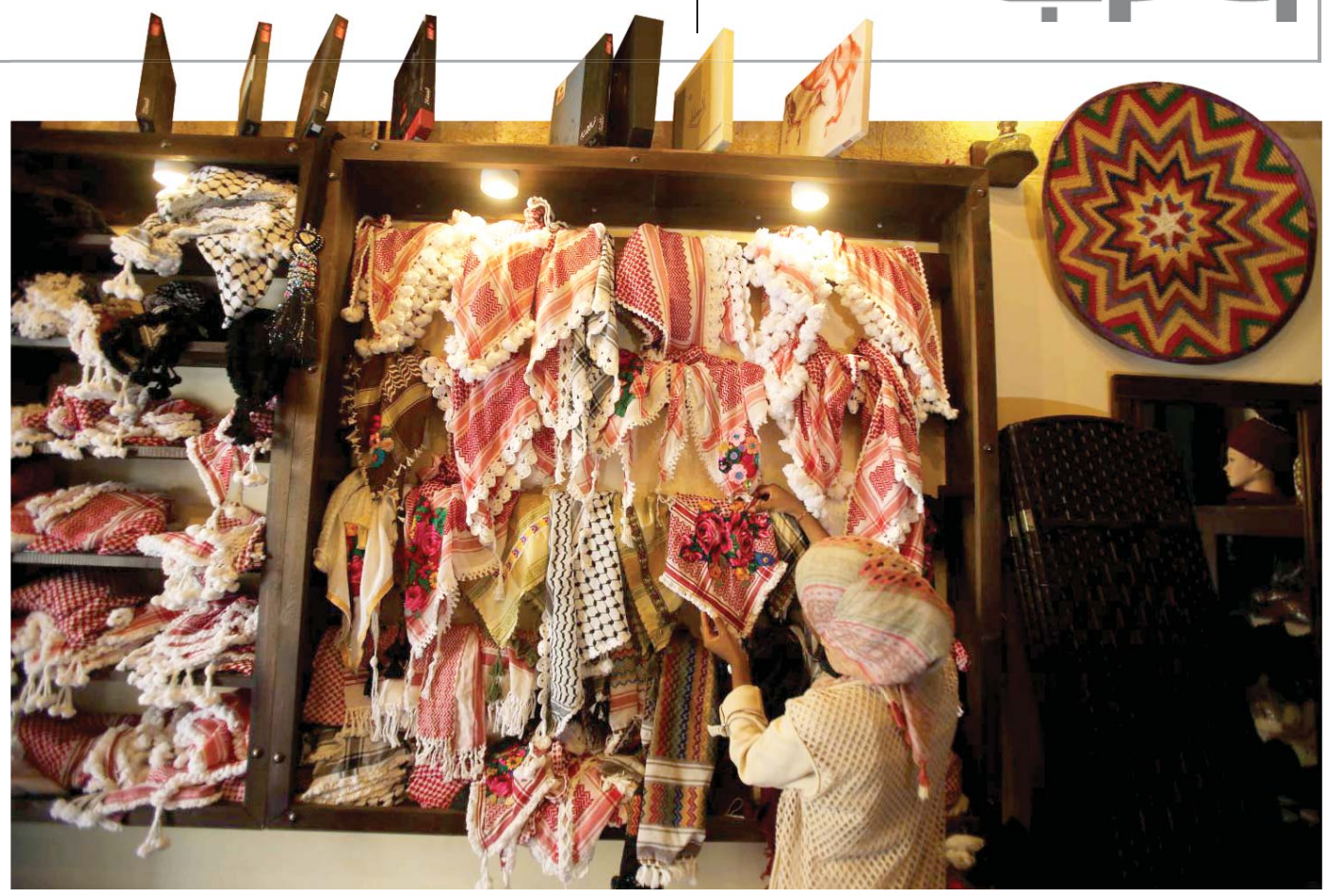

تنوع حضاري

السلط الأردنية: مدينة تزخر بتنوع ثقافي وحضاري وتسامح ديني

إدراج المدينة على قائمة التراث العالمي يفتح الباب أمام استكشافها

تُعدّ مدينة السلط الأردنية التي تعتبر رابع أكبر مدن المملكة سكانا، والتي أدرجتها لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم (اليونسكو) على قائمة التراث العالمي، مثالا للتسامح الديني والتنوع الحضاري والثقافي.

السلط (الأردن) – سلط إعلان لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" إدراج السلط على قائمة التراث العالمي، الضوء على هذه المدينة الأردنية التي تزخر بكل مقومات التسامح الديني وغيره.

وعلى بعد 30 كلم من العاصمة الأردنية عمان، وعلى سفوح مرتفعات البلقاء، تقع السلط التي تُعدّ رابع أكبر مدن المملكة سكانا، وسميت قديما بـ"سالتوس"، نسبة إلى القائد اليوناني الذي فتحها زمن الإسكندر المقدوني وبنى فيها معبدا للإله "زيوس" بمنطقة "زي".

> في 27 يونيو الماضي قررت اليونيسكو الموافقة على إدراج مدينة السلط الأردنية على قائمة التراث العالمي

وما إن يدخل زائرها المكان، حتى يجد حفاوة استقبال قل نظيرها، فالكرم صفة العموم لأهلها، فالابتسامة لا تفارقهم، و"أهلا وسهلا" أكثر كلامهم، يبعثون بها رسالة تنم عن طيب أخلاقهم.

"أبيش (لا يوجد) أحلى من السلط" مقولة مشهورة في الأردن، فبها ومن خلالها تتقلص كل المسافات على زائريها، وتصل الفكرة عن طبيعتها قبل دخول أزقتها وحواريها وشوارعها القديمة، وعمق التاريخ وأصالته تشهد له مبانيها التراثية المنتشرة في أرجاء المدينة.

وتعرف المدينة تعايشا دينيا منقطع النظير حيث يُقرع جرس الكنيسة في ذات الوقت الذي يُرفع فيه الأذان في المسجد، ويتعايش الجيران المسلم والمسيحي معا إذ تجمعهم المحبة والمودة.

ويتشارك هؤلاء المختلفون دينيا أفراحهم، فيما تُعدّ مآتمهم حزنا للجميع وهو ما يلفت الانتباه للسلط.

وفي 27 يونيو الماضي، قررت لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، الموافقة على إدراج السلط "مدينة التسامح والضيافة الحضارية" على قائمة التراث العالمي.

وقال وزير السياحة والآثار نايف الفايز خلال مشاركته في اجتماعات اللجنة افتراضيا في وقت سابق، إن السلط "من بين الأولويات العليا للمملكة لأهميتها في إظهار خصائص التسامح والعيش المشترك والرعاية الاجتماعية بين سكانها".

وأضاف أن "التكافل الاجتماعي بين الأسر في مدينة السلط وزوارها، وعدم وجود أحياء منفصلة على أساس ديني هو من الميزات الواضحة للمدينة"، مؤكدا أن إدراج السلط على قائمة التراث العالمي "سيدعم ثقافة التراث والتسامح والوئام بين الأديان".

وتابع الفايز بالقول إن "الأردن ولجنة التراث العالمي يوجهان اليوم رسالة مهمة إلى العالم أجمع، رسالة سلام وتسامح وتعايش"، مشيرا إلى أن "العمارة المتميزة لمدينة السلط تبين التبادلات الثقافية التي أسفرت عن مزيج فريد من الأنماط المعمارية عالية المستوى".

ولفت إلى تقديم ملف ترشيح السلط لأول مرة عام 1995، ثم لاحقا في عام 2017 وأخيرا عام 2021، ما يشير إلى التزام الأردن بحماية واستدامة القيمة العالمية المتميزة وسمات مدينة السلط.

وبدوره، قال مدير دائرة الآثار العامة بالوكالة هشام العبادي، إن إدراج مدينة السلط على قائمة التراث العالمي، يأتي نتيجة "التعاون الكبير والجهود الحثيثة والعمل بروح الفريق الواحد بين الوزارة والجهات المعنية الأخرى".

تقاسم الأدوار

تحت ظلال الأشجار في "ساحة العين" في مدينة السلط يجلس رجال ممن تزيد أعمارهم عن الستين عاما، يسلون أنفسهم بألعاب تراثية ورثوها عن أجدادهم هي "الطاولة" و"المنقلة"، ويفرق جمعهم رفع أذان الظهر لأداء الصلاة.

ويقول إبراهيم المصري البالغ من العمر 63 عاما إن "الساحة تحمل اسمها نسبة إلى عيون الماء الثلاث التي كانت فيها، وتعدّ أكبر تجمع سكاني في تاريخ الدولة الأردنية".

وبالخروج من الساحة، لا بد لضيوف السلط من المرور بمطعم "الإسكندراني"، والقائم في بناء يزيد عمره عن 150 عاما، يتميز بفن إعماره، فجزء منه محفور أسفل أحد شوارع المدينة، ليشكل فنا مبتكرا في كيفية استغلال المكان، دون المساس بالمعالم التراثية للمدينة.

وبحسب ما أفاد صاحب المطعم محمد باكير، فإن إطلاق اسم الإسكندراني على المطعم هو نسبة لمؤسسي المكان، وهم أخواله، القادمون من لواء الإسكندرون في تركيا، فقد تركوا بصمات واضحة من خلال تصاميم "العقود"، التي يتسم بها البناء العثماني القديم.

وأضاف باكير أن "الأكلات الشعبية السلطية هي ما يقدم في المطعم، وتحقيقا لمبدأ التمكين المجتمعي، فإن جميع الأصناف المقدمة هي صناعة منزلية، تتقنها أيادي نساء المدينة".

ووصف خالد السليم وهو رئيس "وحدة شباب السلط" التطوعية والتي تأسست عام 2016، شباب مدينته، بأنهم "رجال منذ طفولتهم، فالطفل تشعر برجولته منذ صغره، مبادئهم راسخة، ولا تجد اختلافا في أفكار أبناء السلط، فكبير السن يتفق مع الشاب رغم فرق العمر بينهم، وبالعكس".

أما نساؤها، فلا يقل دورهن عن الرجال في بناء المجتمع السلطي، فقد أكدت ريما ارتيمة وهي سيدة مجتمع وناشطة، أن "النساء في السلط يتقاسمن الأدوار المجتمعية مع الرجال، ولهن دور فاعل بمختلف المجالات، فالتربية المبنية على ثوابت أهل المدينة وقيمهم وعاداتهم هي ما يميزهن، فضلا عن مشاركتهن في مختلف المشاريع الخيرية والتطوعية التي تهدف إلى النهوض بالسلط".

تنوع ديني

على أطراف مدينة السلط يقع مقام وضريح النبي يوشع بن نون، الذي يعود تاريخ بنائه إلى قرون خلت، وتم تجديده في عهد العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني عام 2004، وإلى جانبه مسجد بذات الاسم يطل على الأغوار وجبال الضفة الغربية ومدينة القدس.

نايف الفايز

الأردن ملتزم بحماية القيمة العالمية المتميزة وسمات السلط

وفي الوسط، تستقبل كنيسة "الخضر"، المعروفة بـ"كنيسة القديس جورجيوس"، والذي يعود تاريخ بنائها إلى عام 1682، تستقبل السياح من مختلف دول العالم، إضافة إلى المحليين منهم، سواء كانوا مسلمين أومسيحيين.

وفور دخول "بيت خيرات السلط" الخاص بالأزياء التقليدية للمرأة السلطية، يواجه زائره ثوب كبير يُطلق عليه "الخلقة"، وهو زي العروس، والذي يعود تاريخه إلى عام 1862.

وأشارت صاحبة البيت ثائره عربيات، المختصة في هذا المجال، إلى أن "هذا الثوب (الخلقة) مصنوع من قماش التوبيت الإنجليزي، المأخوذ من دودة القز، وهو طبيعي مئة في المئة".

وتابعت "يتميز الثوب ببرودته صيفا ودفئه شتاء، وتبلغ كمية القماش المصنع منها ما بين 16 – 22 ذراعا (الذراع من أول الإصبع إلى أول الكتف، 90 سم تقريبا)، ويختلف ذلك المقاس بحسب حجم العروس، فقد يزيد وقد ينقص".

وأضافت "الخلقة تنقسم إلى 85 قطعة، تتوزع على الأردان (اليمين واليسار) والدارة (أسفل الثوب) والبنايق (جوانبه) وقبة الصدر، ويوضع على الخصر حزام مصنوع من الصوف يسمى السفيفة".

واستدركت "استخدامه الرئيسي هو للعروس، ثم أصبح في ما بعد للمناسبات، وعندما تكبر المرأة في العمر، يتحول إلى لباس الحياة اليومية".

تعايش ديني

المغرب يصون حقوق اليهود

القضاء العبري نموذج لتعزيز التعايش الديني في المغرب

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – يُعد المغرب نموذجا للتعايش بين مختلف الأديان خاصة الإسلام واليهودية، حيث لم تقتصر أوجه التعاون بين اليهود والمسلمين المغاربة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، بل شملت كذلك القضاء.

ويكتسي القضاء العبري في المغرب أهمية كبرى في إبراز التعايش والاندماج بكلّ صوره الإيجابية الهوياتية، حيث يمثل مرجعا مهما في التعاملات التجارية والاجتماعية والشخصية، ويرجع ذلك إلى التعاليم الدينية التي تفرض على كل يهودي الاهتمام بالنص الديني وذلك لمساهمته الفعالة في جميع الأنشطة.

وفي هذا الإطار يقول خالد التوزاني رئيس المركز المغربي للاستثمار الثقافي (مساق) "كان القضاء العبري الخاص باليهود المغاربة أمراً طبيعياً، مثلما كانت لديهم أحياء وقبور خاصة بهم احتراماً لهم ورغبة في منحهم الحرية التامة والاختيار الكامل في ممارسة شعائرهم الدينية وأنشطتهم الاجتماعية، مما جعلهم يشعرون أنهم جزء لا يتجزّأ من مكونات الهوية المغربية، وعنصر أساسي من عناصر البنية الاجتماعية لعموم المغاربة".

ويضيف التوزاني أن "المحاكم العبرية بالمملكة تعتبر جزءا من القضاء المغربي الذي يضمن لليهود الحق في التقاضي. وتنتشر تلك المحاكم في ربوع المملكة ولها تنظيم شبيه بالمحاكم الأخرى التي يتقاضى فيها المسلمون، وتمثل أحد تجليات التعايش الديني في المغرب، ومظهراً من مظاهر التسامح، ولذلك يُحسَب للمغرب هذا السبق، لأننا نرى بعض الدول العربية بدأت تفكر مؤخراً في إنشاء قضاء عبري خاص بالأقليات اليهودية على ترابها".

وبدوره اعتبر الصادق العثماني الباحث في الفكر الإسلامي وقضايا التطرف الديني المقيم بالبرازيل أن "المواطنين المغاربة اليهود عاشوا عبر تاريخهم الطويل في المغرب كمواطنين مغاربة لهم كامل الحرية في شؤونهم الدينية والدنيوية في إطار منظومة قانونية نظمت علاقتهم الداخلية والخارجية مع السلطة والمجتمع، كما حرصت المملكة على احترام خصوصياتهم الدينية والثقافية وهو ما يعترف به كبار حاخامات اليهود في العالم، مما يعطي لملوك المغرب وللمغاربة ميزة عن باقي شعوب العالم الإسلامي وهي قدرتهم على الانسجام والتوافق والتعايش بين جميع أجناس البشر ومعتقداتهم ودياناتهم".

ويرى العثماني في تصريح لـ"العرب"، أن "المحاكم العبرية العصرية بالمملكة تعمل من أجل تعزيز الذاكرة العرفية والمؤسساتية للقضاء العبري المغربي، والحفاظ على اللحمة بين مكونات الهوية المغربية المتعددة، والتاريخ المغربي ذاكرته زاخرة بنوعية هذه القوانين التي تنظم قضايا هذه الفئة من المواطنين والمحافظة على حقوقهم وخصوصياتهم الدينية والثقافية في إطار من التعايش واحترام الآخر الذي شكل المحاور الأساسية في الخطب الملكية الرسمية، ناهيك عن كثرة الظهائر والمراسيم والقرارات الوزارية التي تجسد الإطار القانوني المنظم لهذه الفئة، وأيضا الدستور".

وشكل اليهود أحد العناصر الأساسية في المجتمع المغربي في مختلف الحقب التاريخية، سواء في المدن أو في القرى وهو ما جعل لهم حضورا هاما حتى في التشريعات المغربية، حيث ينص الدستور في ديباجته على أن اللغة العبرية تعد مكونا رئيسيا ورافدا من روافد الهوية والثقافة المغربية، وهو ما أعطى للنظام القانوني والقضائي الوطني تفرده على المستوى العالمي.

وشدد جوزيف إسرائيل رئيس الغرفة العبرية وممثل الجالية اليهودية المغربية في المناسبات الوطنية على الاهتمام الذي توليه المملكة المغربية للجالية اليهودية ولقضاياها، وحرصها الدائم على صون حقوقها.

وأكد التوزاني أن "المملكة حافظت على تماسكها بفضل سياسة تقوم على رعاية مصالح جميع المواطنين المغاربة، وحتى الأجانب المقيمين في التراب المغربي مؤقتاً في إطار السياحة أو الدراسة أو التجارة، أو المقيمين بصفة دائمة في المغرب في إطار الاستقرار النهائي، تلك الرعاية التي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات كل فئة اجتماعية، وتشمل جميع مكونات الهوية المغربية؛ من عرب وأمازيغ ويهود، ومهاجرين من الأندلس والمشرق، وبعض العناصر الآسيوية والأفريقية وغيرها من الأجناس التي عاشت في المغرب".

خالد التوزاني

المحاكم العبرية تمثل مظهرا للتسامح الديني في المغرب

الصادق العثماني

المحاكم العبرية العصرية تعزز ذاكرة القضاء العبري المغربي

وأضاف التوزاني لـ"العرب"، أن "هذه المكونات اندمجت بعمق في البيئة المغربية، فتحدّثت اللغة الدارجة وتبنّت العادات والتقاليد المغربية طواعية واختياراً ودون أي إلزام أو إكراه، حتى أن بعض اليهود المغاربة كانوا يصومون شهر رمضان مع المسلمين حرصاً منهم على وحدة المجتمع المغربي".

وأشارت زهور رحيحل مديرة ومحافظة المتحف اليهودي المغربي بالدار البيضاء إلى أن الإرث الرافدي العبري أو الإرث اليهودي المغربي من أغنى الثقافات اليهودية في العالم التي يجب أن يفخر بها المغاربة، والذي يبلغ أزيد من ألفي عام.

ودعت إلى التمييز بين الإرث الثقافي اليهودي وبين ما يسمى بالصهيونية، مشيرة إلى أن المغرب يعد الدولة العربية والإسلامية الوحيدة التي استطاعت الحفاظ على إرثها العبري.

ويتوفر المغرب على حوالي 500 أو 600 مزار مقدس يقصدها اليهود للتبرك والدعاء لموتاهم، خاصة خلال موسم "الهيلولة" التي تعتبر إحدى مكونات الثقافة اليهودية المغربية، وجزءا من الروافد الهوياتية المتنوعة تعبيرا عن اندماج هذا المكون في المجتمع المغربي.

وعلى الرغم من أنّ الإسلام هو الدين الرسمي في المغرب إلا أن المملكة ترعى مصالح جميع المؤمنين من كل الديانات والمذاهب والطوائف الذين اختاروا المغرب بلداً للعيش أو العبور، حسب خالد التوزاني.